الإسلام والاشتراكية الماركسية

الماركسية إما تعرف بأنها «القضاء على الملكية الفردية»، أو أنها «نظام الملكية الجماعية» ويتلخص الفكر الماركسي في جملة واحدة: «القضاء على الملكية الفردية». وهذه هي النظرية التي ظهرت تحت أسماء مختلفة، مثل: الفوضوية، والنقابية، والشيوعية، والاشتراكية، والاشتراكية النقابية المهنية[1]، علماً بأن الذي طبق هو المرحلة الاشتراكية، وأما الشيوعية وهي المرحلة الأخيرة فلم تطبق إلا في فترة تجربة محدودة أدت إلى انهيار الأوضاع الاقتصادية.

وقد وقعت الثورة الشيوعية في روسية سنة ١٩١٧م، وبدأ بناء المجتمع الاشتراكي في روسية، واستمر زهاء سبعين سنة، فتم تأميم الملكية الذاتية من كل الأنواع، ووضع الملكية في أيدي الدولة.

وقام النظام الاشتراكي على أساس امتلاك الدولة لمختلف وسائل الإنتاج (وهي الأرض ورأس المال والعمل) من صناعة وزراعة وثروة طبيعية وخدمات عامة، فلا وجود للملكية الفردية، ولا حرية اقتصادية مطلقة للفرد إلا بمقدار ما يمنحه المجتمع إياه وينظمه له.

ولم تلغ الملكية الخاصة إلغاءً تاماً، وإنما أقر النظام ملكية أدوات الاستهلاك المنزلية ونقود وسلع معترف بها، ويجري فيها الميراث[2].

وظلت ملكية أموال الإنتاج ملكية اشتراكية إما مباشرة للدولة، أو بأسلوب الملكية التعاونية، وأبقى القانون الروسي المشاريع الاقتصادية الصغيرة الخاصة

---

(١) سقوط الماركسية، وحيد الدين خان: ص٢١.

(٢) وهو نص المادة العاشرة من الدستور السوفييتي.

بالفلاحين وبالحرفيين، بشرط أن يقوموا بعملهم شخصياً، وألا يستغلوا فيه جهد الآخرين.

ومن المعلوم أن النظام الذي كان مطبقاً في روسية السوفييتية هو نظام اشتراكي، يعده القادة السوفييت مرحلة انتقال نحو الشيوعية كما تقدم.

وغاية النظام الاشتراكي تحقيق العدالة الاجتماعية لتحقيق مستوى مادي ومعنوي لائق بكرامة الإنسان.

وأهم خصائص النظام الاشتراكي ثلاث:

١- من الناحية السياسية إعلاء المجتمع على الفرد، وخضوع المصالح الذاتية لدواعي الحاجات الاجتماعية.

٢- من الناحية الاجتماعية تحقيق المساواة بين الأفراد، أي إلغاء الفوارق بين الطبقات.

٣- من الناحية الاقتصادية القضاء على الرأسمالية، وإلغاء الملكية الفردية لأموال الإنتاج، واستبعاد المنافسة.

انتقد هذا النظام بأنه يهدر الحق الطبيعي للفرد وهو حق الملكية، ويعطي الجماعة ممثلة بالدولة سلطات واسعة على حساب الأفراد، ويقيد الحرية الاقتصادية[١].

كما أن افتراض (ماركس) غير مقبول لتصوره أن الإنسان وبقية أجزاء الكون المادية أجزاء مجموعة واحدة، فالإنسان والكون عنده يخضعان لقانون مادي واحد، مثلما تتبع التربة والماء قانوناً واحداً، وهذا هو الخطأ الفكري الأساسي، الذي سقطت فيه الفكرة الأساسية، ذلك الخطأ الذي أدى إلى بطلان كل البنيان الفكري[٢].

وكذلك عند تحليل المادية التاريخية نجد ألواناً من التناقض الفكري، إن هذه

(١) أصول الاقتصاد، أ. د. محمد حلمي مراد: ص٩٧-٩٩.

(٢) سقوط الماركسية، المرجع السابق: ص٧.

النظرية تقول بأن التاريخ البشري كله هو تاريخ النهب والسلب والاستغلال، واقترح (ماركس) - في ضوء تحليله للتاريخ البشري - أن يباد الجنس البشري، وأن يزال وجوده عن وجه البسيطة للأبد، وهو حين يرفع شعار «يا عمال العالم اتحدوا»، ويدعو الناس لتنفيذ الفكرة الماركسية، يتناقض مع نفسه حين يقول: الثورة الاشتراكية حتمية حقاً. وكذلك يخطئ (ماركس) حين يدَّعي أن كل الأشياء والأفكار الأخلاقية انعكاس للأحوال الاقتصادية السائدة في عصر ما[١].

وترى الماركسية في نظرية حتمية التاريخ أن جميع القوانين العلمية والعلوم الطبيعية والاجتماعية هي كلها انعكاس لأعمال خارجية مستقلة عن إرادة الإنسان. والفكرة الطبقية من أفكار ماركس الأساسية، وهو يرى أن التاريخ البشري كله هو تاريخ الصدام والصراع الفكري، وأن العهد الصناعي الجديد سيقضي على الطبقية وإقامة (المجتمع اللاطبقي)، والطبقة العمالية التي أفرزتها الثورة الصناعية الجديدة هي التي تحقق هذا الدور التاريخي، وتعترف الماركسية بنظرية الارتقاء الداروينية وتستخدمها لتفسير أحداث العالم، وهي تؤيد النظرية الجدلية، ويأخذ ماركس بنظرية الارتقاء الاجتماعي، لتفسير ارتقاء اجتماعي نحو الأفضل عبر عملية تاريخية[٢]. كما أنه لا يمكن إقامة نظام الملكية الاجتماعية إلا بواسطة الاحتكار الكلي، وهذا أكبر دليل على إخفاق هذا النظام[٣].

والحقيقة أن النظرية الماركسية أخفقت بصفتها نظرية، وأخفقت عملياً لوجود عيوب عملية كثيرة وتناقضات عديدة، منها أن سلوك الطبقة الكادحة لا يختلف عن سلوك الطبقة الرأسمالية، ومنها الأخذ بنظرية الإكراه السياسي، وتبني الدكتاتورية لتنظيمها السياسي، وهذا يتنافى مع قولهم بالمادية التاريخية والجدلية الحتمية، ومنها أن الشيوعية قدمت الحل الصحيح لمشكلات البشرية لأول مرة

(١) المرجع نفسه: ص٥١، ٥٦.

(٢) المرجع ذاته: ص٦٠، ٦٥، ٧٣، ٨١.

(٣) المرجع ذاته: ص١١٠.

في التاريخ، والوصول إلى الجنة الحمراء (الجنة الاقتصادية)، أي إن البلاد الشيوعية هي المناطق السعيدة في العالم، مع أن الشيوعية لم تنجح في هذا إطلاقاً، وإنما كثر الفقر والجوع والظلم والقهر والقضاء على الحريات المدنية، مع أن ماركس يدعي أنه قضى على الجوع في روسية.

كل ذلك وغيره يؤكد على أن الاشتراكية المتطرفة ليست إلا صورة كربونية طبق الأصل للنظام الرأسمالي الغربي من الناحية الاقتصادية، ولم يتغير شيء إلا العنوان على هذه الصورة، ولم يتقدم النظام الاشتراكي قيد أنملة على النظام الإنتاجي السائد في البلاد الرأسمالية، ومن أقوال ماركس: «نحن جلّادون» ويقول جاي براكاش نارايان الاشتراكي الهندي: «الجدلية المادية عقيدة تهدف إلى إكمال الإنسانية، ولكنهم حوّلوها في روسية إلى دين الحكم الدكتاتوري». ولم تمض ثلاث سنوات على وفاة ستالين إلا واستحق أوصاف «القاتل، واللص، والسياسي المبتدئ»[1].

والحقيقة أن الواقع أثبت إخفاق الاشتراكية المتطرفة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي، وأن الرفاهية الاقتصادية مجرد خيال، وأن نظريات ماركس وإنجلس مليئة بالتناقضات والخيالات، وأن ألوان الظلم والقهر والتسلط كانت سائدة في الاتحاد السوفييتي، وأن طبقة العمال الكادحين «البروليتاريا» لم تنعم بشيء من الرفاه المزعوم.

والإسلام بدوره يرفض إلغاء الملكية، لأن ذلك مصادم للفطرة الإنسانية، كما يرفض كل ممارسات الشيوعية العملية، وبخاصة قتل الملايين من المسلمين وغيرهم في عهد ستالين، وليس هناك أدل على سقوط الماركسية من انهيارها نهائياً في سنة **١٩٨٩**م وما قبلها في عهد غربوتشوف. هذا فضلاً عن أن الإسلام يرفض رفضاً قاطعاً اقتران الشيوعية بالإلحاد. وقولهم: «الدين أفيون الشعوب» ومن أقوال بعض الشيوعيين للعرب: «موتوا ولا تكونوا شيوعيين».

---

(١) المرجع السابق: ص ١٢١، ١٢٩، ١٣٥، ١٤١، ١٤٨، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٧.

والذي أمكن تحقيقه في روسية هو ما تنص عليه المادة (١٢) من الدستور الروسي: العمل واجب وتكريم لكل مواطن في الاتحاد السوفييتي ممن يمكنه العمل، عملاً بمبدأ «من لا يعمل لا يأكل». ومبادئ الاشتراكية في الاتحاد تقول: «يُستخدم الكل حسب كفايته، ويعوض الكل حسب عمله».

obeikandl.com